المجلة الأردنية للفنون، مجلد 4، عدد 2، 2011، 167- 195

اللوحات الفسيفسائية، وغيرها من الموجودات الأثرية من موقع خربة جابر في منطقة البادية الأردنية الشمالية

ضيف الله محمد عبيدات، متحف سمرقند، جامعة آل البيت

عاصم محمد عبيدات، قسم التصميم الداخلي، كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك

تاريخ الاستلام: 2011/7/11 **تاريخ القبول:**2011/11/3

ملخص

بعد الدراسة التي تناولت الموقع الأثري في خربة جابر، مُعرِّفة به وبموقعه وبانتشار المخلفات الأثرية فيه، وطبيعة هذه المخلفات وحالتها في الوقت الحاضر؛ فقد جاءت هذه الدراسة لمتابعة الجهد في التعريف بهذا الموقع الأثري وتاريخه الحضاري، وذلك من خلال تناول بعض الجوانب الأخرى المتعلقة بالموضوع، وبالتحديد من خلال بعض الموجودات الأثرية التي تم الكشف عنها في هذا الموقع. وقد تنوعت هذه الموجودات من الأرضيات الفسيفسائية والنقوش والأحواض الحجرية والرموز الدينية والأعمدة الرخامية وغيرها من الموجودات التي استخدم فيها الحجر البازلتي، وتوثيقها والتعريف بها، لإتاحة الفرصة للاستفادة منها في مجالات متنوعة كالعمارة والتصميم الداخلي.

The Mosaic Floors (panels) and other Findings from the Archaeological Site of Khirbet Jaber in the Northern Jordanian Badiah

***Daifallah M. Obeidat**, Archaeology Samarqand Museum, University of Al Al-Bayt.*

***Asem M. Obeidat**, Interior Design Department of Design, Yarmouk University.*

Abstract

Based on a previous study that focused on the archaeological site of "Khirbet Jaber" addressing the spread of the archaeological remains and its recent situation, the present study intends to follow-up this effort. The study aims to clarify some of the archaeological findings that were discovered in "Khirbet Jaber" site and its history of civilization by addressing some of the other aspects related to the subject, specifically through some of the archaeological assets discovered at this site including mosaic floors, inscriptions, stone basins, religious symbols, marble columns, and other assets made by basalt stone, for the purpose of documentation to allow for use in a variety of fields such as architecture and interior design.

المقدمة

موقع خربة جابر هو أحد المواقع الأثرية المنتشرة في منطقة حوران، ويقع على طرفها الجنوبي الغربي، والتي تعرضت للدمار جراء الزلازل والهزات الأرضية القوية التي ضربت هذه المنطقة كغيرها من مناطق بلاد الشام، في أواخر العصر الأموي (746م) (El-Isa, 1985, P.234). وقد أدى الدمار الهائل

الذي لحق بمدن وقرى هذه المنطقة، إلى هجرها بشكل كلي تقريباً (Freeman and Kennedy,1986, 339). وقد بقيت أغلب هذه المواقع مهجورة حتى بداية القرن العشرين، عندما بدأت بعض التجمعات البشرية تجد فيها مستقراً لها، مستفيدة من مخلفات أنظمة الحصاد المائي القديمة، ومن مخلفاتها المعمارية التي كانت ما تزال قائمة، سواء من خلال إعادة استخدامها، كمأوى لها ولدوابها، أو استخدام حجارتها لبناء وحدات معمارية جديدة مناسبة (عبيدات، 2000، 217؛ 2010: 219).

وخربة جابر هو أحد المواقع الأثرية التي شهدت تواجداً بشرياً في العصر الحالي، حيث أقيمت منشآت القرية منذ أواخر القرن التاسع عشر فوق أنقاض المخلفات الأثرية (Schumacher,1897, 144; Butler 1909, Appendix to D. II. A. 2:XV- XVI). إلا أن هذه المخلفات الأثرية ما يزال البعض منها ظاهراً على السطح بقدر يتيح المجال، بشكل أو بآخر، للتعريف بهذا الموقع الأثري الفريد بموقعه، والذي أتاح له أن يكون جزءاً من التفاعلات الحضارية المتعاقبة في هذه المنطقة منذ العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر. حيث يضم هذا الموقع مخلفات أثرية تعود للعصور الحجرية، إذ تم التعرف فيه على أدوات صوانية تعود للعصر الحجري القديم المتوسط، وهي الفترة المعروفة بالفترة الموستيرية. هذا بالإضافة إلى المخلفات الأثرية التي تعود لكل من العصور الرومانية والبيزنطية والإسلامية (الأموية والمملوكية). كما شهد هذا الموقع مرور الخط الحديدي الحجازي، الذي أقيم في نهاية العصر العثماني، الذي يمر بمحاذاته من الجهة الشرقية، ويوجد بقربه إحدى المحطات الصغيرة التابعة لهذا الخط الحديدي (عبيدات، 2000، 217؛ 2007؛ 2010).

في دراسة سابقة للباحث ضيف الله عبيدات، بعنوان: "خربة جابر في منطقة البادية الأردنية الشمالية"، منشورة في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تناول فيها بعض الجوانب المتعلقة بهذا الموقع الأثري (عبيدات، 2010). وما يزال هناك المزيد من الجوانب، المتعلقة بهذا الموقع، التي يمكن تناولها بالدراسة. فقد تمكنا خلال عملنا في هذا الموقع الأثري، من التعرف على بعض الموجودات الأثرية المختلفة، مثل الأرضيات الفسيفسائية، التي تم الكشف عن أجزاء منها، والتي تعود للعصر البيزنطي. والفسيفساء فن عريق في الأردن، كما هو الحال في كافة مناطق بلاد الشام، وإن ما تحويه العديد من المواقع الأثرية، الرومانية والبيزنطية، من نماذج متنوعة من هذا الفن الراقي والعريق، يشير وبشكل واضح إلى أهميته، وإلى دوره المميز في تطور المفاهيم الجمالية والخصائص الوظيفية، كونه ارتبط منذ بداية نشوئه، وبشكل وثيق، بالعمارة بكافة أشكالها ووظائفها، الدنيوية والدينية، كتقنية من تقنيات الديكور الداخلي.

بالإضافة إلى استخدام الحجر البازلتي، كمادة إنشائية في كافة المباني الأثرية، فقد تم التعرف على بعض الأواني الحجرية المصنوعة من حجر البازلت أيضاً. هذا كما استخدم هذا النوع من الحجارة أيضاً في في مجال الكتابات القديمة (النقوش)، إذ تم التعرف على عدد من الكتابات (النقوش) اليونانية والعربية، المكتوبة (المحفورة) على حجارة بازلتية.

مشكلة البحث

بدأت منطقة البادية الأردنية الشمالية تشهد، منذ عدة عقود، حركة تغيير شاملة ونشيطة، تتمثل في كل من عمليات البناء وشق الطرق واستصلاح الأراضي للأغراض الزراعية، ولا يستثنى من ذلك المواقع الأثرية، مما أدى وما يزال يؤدي إلى تدمير المعالم والمخلفات الحضارية والأثرية، وطمس خصائصها

الفكرية والثقافية، في كافة المواقع الأثرية، قبل أن يصار إلى توثيقها ودراستها.

وقد شهد موقع خربة جابر الأثري قيام قرية حديثة فوق أنقاضه، في بداية القرن العشرين، نمت وتوسعت لتصبح في الوقت الحاضر، إحدى القرى الكبيرة في هذه المنطقة. فما هي التغييرات التي أحدثتها هذه القرية، بمشاريعها ونشاطاتها العمرانية والمعمارية، على المخلفات الأثرية في هذا الموقع ؟ وهل أتت النشاطات على كافة المخلفات الأثرية فيها؟ أم أنه ما يزال من الممكن التعرف على بعضها ؟ وهل من الممكن التعرف على التاريخ الحضاري لهذا الموقع وعلى الفترات الزمنية التي كان مأهولاً خلالها، من خلال هذه الموجودات ؟

أهمية البحث

تكمن أهية هذا البحث في أنه يعد من الدراسات القليلة التي تتناول موقعاً أثرياً في منطقة البادية الأردنية الشمالية. إذ ما تزال هذه المنطقة تعد من المناطق الأردنية الأقل حظاً، من حيث كمية ونوعية الدراسات والأبحاث الأثرية الميدانية، وذلك مقارنة مع مناطق أردنية أخرى، حظيت باهتمام أكبر من القائمين على أعمال ونشاطات البحث الأثري.

ويستكمل هذا البحث ما تم إنجازه في دراسة أخرى سابقة بعنوان: "خربة جابر في منطقة البادية الأردنية الشمالية"، منشورة في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تناولت بعض الجوانب المتعلقة بهذا الموقع الأثري (عبيدات، 2010). وذلك من خلال الاهتمام بما لم تتطرق له تلك الدراسة، لسبب أو لآخر، من الموجودات الأثرية الهامة، والتي سوف تسهم في إلقاء المزيد من الضوء على التاريخ الحضاري لهذا الموقع، بشكل خاص ولهذه المنطقة بشكل عام.

كما تعتبر هذه الدراسة بحد ذاتها مادة علمية، قد تسهم في خدمة المزيد من الأبحاث والدراسات العلمية الأثرية، التي يمكن أن تتناول هذا الموقع أو هذه المنطقة، أو الدراسات المقارنة التي تتناول مثل هذه الموجودات، أو بعضها. من اجل التعرف على تاريخ الاستيطان البشري لهذا الموقع الأثري بشكل خاص ولهذه المنطقة بشكل عام.

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على بعض الموجودات الأثرية من هذا الموقع، والتي لم تتناولها الدراسة السابقة حول الموقع (عبيدات، 2010)، مثل الأرضيات الفسيفسائية والنقوش (الكتابات القديمة) والأحواض الحجرية والرموز الدينية والأعمدة الرخامية، وتوثيقها والتعريف بها، لإتاحة الفرصة أمام المعماريين والمصممين لاستخدامها في العمارة والتصميم الداخلي والديكورات. وذلك على ضوء نتائج الدراسة المسحية الميدانية التي أجريت مسبقاً في هذا الموقع ومحيطه.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث اعتمد العمل المسحي الميداني في الموقع على جمع أكبر قدر من المعلومات، حول هذه المخلفات الأثرية التي تم التعرف عليها، وتدوينها من خلال الملاحظات الشخصية بالعين المجردة، أثناء الزيارات الميدانية المتكررة للموقع، وتم توثيقها بالصور الفوتوغرافية، والرسومات المطلوبة.

كما استفادت هذه الدراسة من نتائج الدراسات الأثرية الميدانية السابقة، القليلة، التي تناولت هذه المنطقة، بدءاً بمحاولات الرحالة الذين توافدوا على هذه المنطقة منذ منتصف القرن التاسع عشر، وانتهاءً بآخر الدراسات الأثرية الميدانية.

الموقع[i]

تقع قرية جابر، بموقعها الأثري، على بعد حوالي 18كم إلى الشمال من مدينة المفرق وإلى الشمال الغربي من بلدة سما السرحان والتي تضم هي الأخرى موقعاً أثرياً مميزاً (عبيدات، 2003)، بمحاذاة الخط الحدودي بين كل من الأردن وسوريا (شكل 1). وهي اليوم أصبحت نقطة عبور حدودية، وتضم مراكز حدودية لكلا البلدين، حيث يمر منها الطريق الدولي السريع الذي أنشئ حديثاً والذي يربط بين كل من عمان ودمشق والذي يحمل الرقم (15) على الخارطة (شكل 1). كما يمر على مقربة منها، في الجهة الشرقية، الخط الحديدي الحجازي، والذي أنشئ في بداية القرن العشرين.

وتقع قرية جابر إدارياً ضمن منطقة قضاء سما، إحدى المناطق الإدارية في محافظة المفرق. الذي يحده من الشمال والشمال الشرقي الحدود الأردنية السورية ومن الغرب قضاء حوشا ومن الجنوب والجنوب الشرقي لواء قصبة المفرق.

وتقع خربة جابر في أقصى الطرف الغربي لمنطقة حوران الأردنية، والتي هي عبارة عن الأطراف الجنوبية لمنطقة حوران البازلتية، المحيطة بجبل حوران البركاني، الواقع في جنوب شرق سوريا. وهي منطقة واسعة تقدر مساحتها بحوالي 45.000 كم^2، منها حوالي 11.000كم^2 داخل الحدود الأردنية (عابد، 1982، 116)، وهي التي تعرف بمنطقة حوران الأردنية.

ومنطقة حوران مرتفعة، حيث يصل ارتفاع جبل حوران إلى حوالي 1800م فوق مستوى سطح البحر، وتمتاز بارتفاع معدلات هطول الأمطار، والتي تصل لحوالي 400 ملم في معدلها السنوي، مقارنة بالمناطق المحيطة بها، وتقل تدريجياً نحو الأسفل. حيث أنها تنحدر تدريجياً باتجاه الجنوب والجنوب الغربي، يتخللها بعض الأودية التي تشهد جريان مياه الأمطار، في فصول الشتاء، نحو أطرافها الجنوبية والجنوبية الغربية، لتغذيها بالمياه، معوضة إياها عن شح الهطول المطري. كما تمتاز هذه المنطقة بخصوبة تربتها وصلاحيتها للزراعة باعتبارها منطقة بركانية، الأمر الذي جعل منها منطقة جذب للاستيطان البشري على مر العصور. وهذا ما يفسر غناها بالمخلفات والمواقع الأثرية التي تنتشر بكثافة عالية بالقرب من المركز، وتقل كثافتها باتجاه الأطراف.

وتضم منطقة حوران الأردنية، بالإضافة إلى موقع خربة جابر، عدداً من المواقع الأثرية مثل سما وأم السرب والباعج وأم الجمال وصبحا وصبحية والدفيانة وأم القطين ودير الكهف. وهي امتداد للمواقع الأثرية الواقعة في الجانب السوري من منطقة حوران (شكل 2).

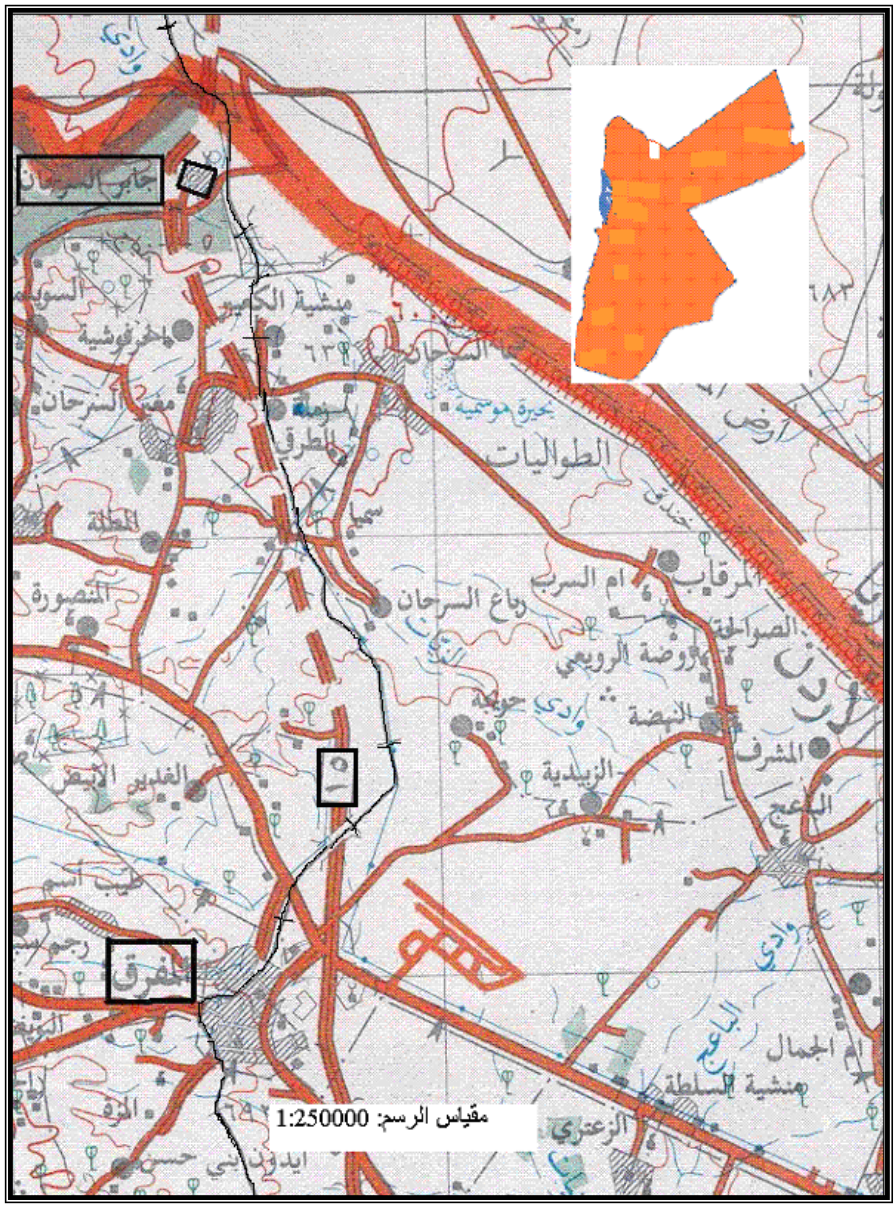

(شكل 1): خارطة منطقة شمال المفرق، تبين موقع خربة جابر (جابر السرحان)

ويلاحظ أن كثافة انتشار هذه المواقع تزداد نحو الشمال الشرقي باتجاه جبل حوران، عبر الأجزاء الخصبة من المنطقة البازلتية البركانية، حيث تتوافر المقومات الضرورية للزراعة، وهي تنتشر بشكل الشبكة محيطة بمدينة بصرى وجبل حوران، حيث تشير النقاط، الداكنة على الخارطة (شكل 2)، إلى المواقع الأثرية في المناطق السورية.

وتشترك هذه المواقع الأثرية، في منطقة حوران، بخصائص متشابهة إلى حد بعيد، من حيث العصور الزمنية التي كانت مأهولة خلالها، ومن حيث مادة البناء، الرئيسية والوحيدة تقريباً، وهي الحجر البازلتي، التي استخدمت خلال هذه العصور، في كافة المباني، والتي ما تزال أنقاضها ماثلة للعيان بشكل أو بآخر في هذه المواقع (عبيدات، 2000).

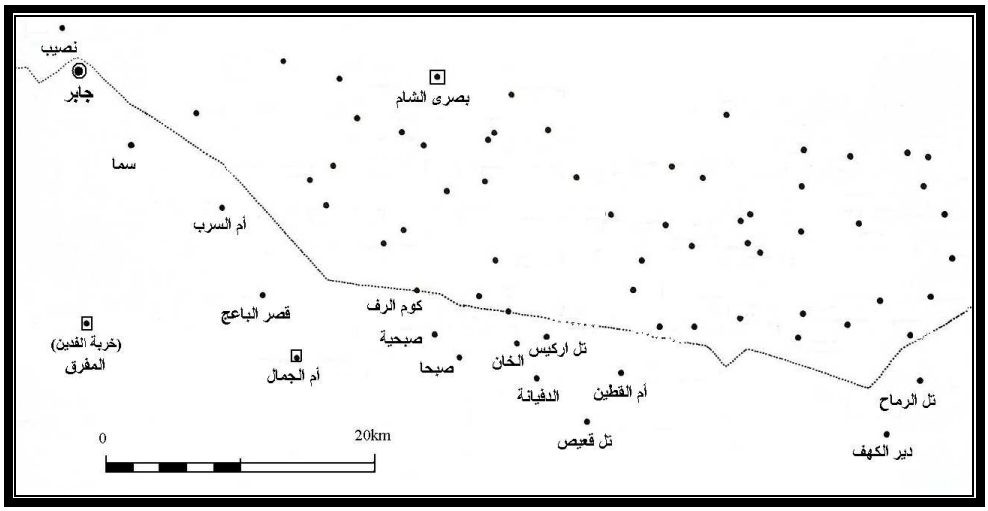

(شكل 2): المواقع الأثرية في المنطقة المحيطة بجبل حوران من الجنوب والجنوب الغربي.

أشير إلى الموقع الأثري في بلدة جابر (خربة جابر) بأنه يقع على التل الواقع إلى الشمال الشرقي من البلدة الحديثة (صورة رقم: 1)، ولكن تبين لنا، من خلال أعمال المسح الميداني التي قمنا بها في الموقع، بأن انتشار المخلفات الأثرية لم يكن محصوراً في منطقة التل فقط، والذي كان يمثل المركز الرئيسي لهذا الموقع، بل امتد في الجهات الغربية والجنوبية منه. وقد توافقت هذه النتائج مع النتائج التي توصل إليها ديفد كيندي في دراسته للموقع، حيث أشار إلى أن الصور الجوية، والتي تعود للنصف الأول من القرن العشرين، قبل انتشار مساكن القرية الحديثة خارج منطقة التل، تظهر وجود مخلفات أثرية في أماكن أخرى، خارج منطقة التل الرئيسي، في بلدة جابر (Area A, B, C)، هذا بالإضافة إلى مخلفات السدود (Area D, E) (Kennedy, forthcoming: 7-13).

وجميع هذه المناطق تقع حالياً داخل المنطقة التنظيمية لبلدة جابر الحديثة (شكل 3). وقد تمكنا من التعرف عليها، وعلى بعض المخلفات الأثرية فيها، مثل بعض أنقاض المباني التي كانت تتواجد في هذه المناطق، والتي ضاع أغلبها، على ما يبدو، خلال عمليات البناء وشق الطرق الحديثة. هذا بالإضافة إلى الكسر الفخارية المنتشرة على السطح، وإن كانت بنسب قليلة، في هذه المناطق.

(صورة 1): منطقة التل في خربة جابر، ويبدو في الخلف الخط الحدودي

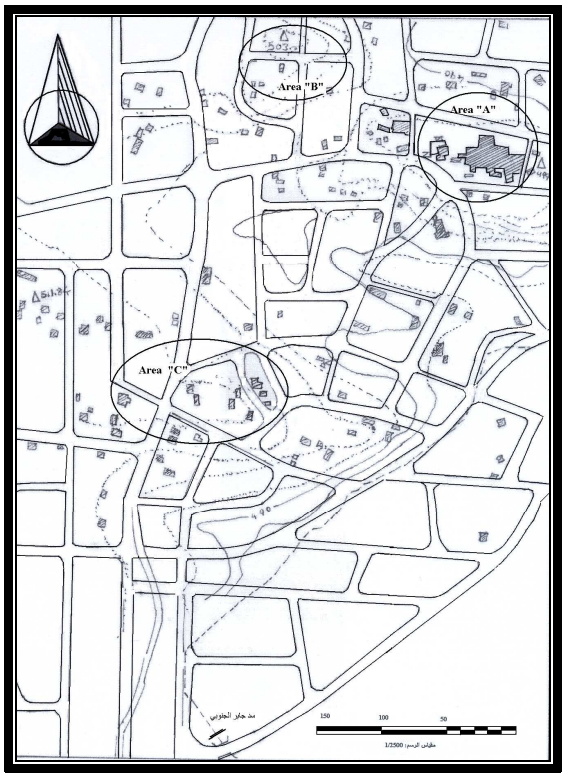

(شكل 3): المخطط التنظيمي لبلدة جابر، تبين أماكن تواجد المخلفات الأثرية (A, B, C)

الأرضيات الفسيفسائية

أشار فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية Studium Biblicum Franciscanum، إلى وجود أرضية فسيفسائية في وسط القرية التي تقوم على التل، وبالتحديد في فناء بيت شيخ القرية (Lombardi,1955-1956: 318, 321, Fig. 10). وقد قاموا بالكشف عن جزء صغير منها، وذلك بسبب ضيق الوقت الذي كان متاحاً لهم. الجزء المكتشف من هذه الأرضية يبدو أنه منفذ (مشغول) بقطع فسيفساء صغيرة مربعة (مكعبة) الشكل tesserae (صورة 2). وتضم زخرفة بنمط هندسيgeometric pattern، عبارة عن مربعات بشكل رقعة الشطرنج (شكل 4)، بعضها داكنة (باللون الأحمر) وأخرى فاتحة اللون (باللون الأبيض)، طول ضلع كل منها 28سم، يتشكل كل منها من صفوف (20 صف في كل مربع) من قطع الفسيفساء مربعة الشكل بحجم 1.5سم تقريباً، والمربعات الداكنة (باللون الأحمر) يتوسطها مربعات أو معينات بلون فاتح (أبيض)، طول ضلعها 20سم يتكون كل منها من صفوف (13 صف في كل مربع) من قطع الفسيفساء مربعة الشكل بحجم 1.5سم أيضاً. وينتجع عن تداخل المربعات الداكنة وما يتوسطها من مربعات أو معينات أشكال مثلثة (مثلث قائم الزاوية طول ضلعه 13سم، وقاعدته 18سم) باللون الأحمر.

يلاحظ أن قطع الفسيفساء قد تم تشكيلها، بشكل مربعات متداخلة، بحيث يمكن تتبع الخطوط الأفقية والعمودية.

(صورة 2): الأرضية الفسيفسائية، التي أشار إليها فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية

(Lombardi 1955-1956: 318, 321,Fig. 10)

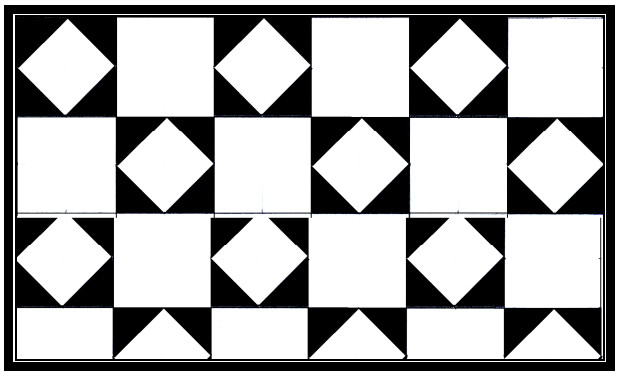

(شكل 4): شكل توضيحي للنمط الزخرفي المتبع في الأرضية الفسيفسائية التي أشار إليها فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية.

يشير فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية إلى أن هذا النمط الهندسي في الأرضيات الفسيفسائية معروف في العصر الروماني، ويستشهدون على ذلك بمثال لأرضية فسيفسائية من إحدى الحمامات من موقع مدينة أنطاكيا (Syrian Antioch) الأثرية، مشابه لنمط هذه الأرضية الفسيفسائية من جابر، ويعود للفترة الرومانية. وقد جاء إطار الأرضية الفسفسائية من مدينة أنطاكيا منفذاً بتصميم هندسي، في حين أن الأجزاء الداخلية منها قد جاءت بنمط مغاير. أما بالنسبة لهذه الأرضية من موقع خربة جابر فهي مجرد جزء صغير من الأرضية، ولا يمكن تحديد موقعه بالنسبة للأرضية، ومن غير المعروف ما إذا كان يمثل جزءاً من إطارها، أم من أجزائها الداخلية (Lombardi,1955-1956, P 318-321).

ومن الجدير بالذكر أن هناك أرضية فسيفسائية كاملة قد تم الكشف عنها، في مدينة جرش الأثرية (شكل 5)، أثناء التنقيبات الأثرية التي أجرتها الجامعة الأردنية بإشراف الدكتور عاصم البرغوثي، في السبعينيات من القرن الماضي (Barghoti,1982, P.209-229; Fig. 18a-b)، وتقع في منطقة السوق، بمحاذاة شارع الأعمدة، وهي ليست أرضية كنيسة، حيث أن محور هذه الأرضية يتجه من الشمال إلى الجنوب. دمرت أغلب أجزاء هذه الأرضية بفعل عوامل الزمن ولم يتبق منها، حالياً، سوى أجزاء من إطارها الخارجي. ولم يذكر البرغوثي أية معلومات تفصيلية تتعلق بهذه الأرضية، من حيث أبعادها ومن حيث أبعاد العناصر الزخرفية التي تتضمنها، ونوعية وأحجام قطع الفسيفساء المستخدمة فيها.

"The area between the two northern shops and the columns of the cardo was paved with mosaics forming geometrical designs (Fig. 18a and b)"

وتقع هذه الأرضية الفسيفسائية ضمن مبنى ضخم (Barghoti,1982, P.223; Fig. 18a)، يبدو أنه يمتد طولياً بمحاذاة شارع الأعمدة. ويشير البرغوثي إلى أنه يعود للفترة الرومانية، وبالتحديد للقرن الأول الميلادي، ويعتقد بأنه كان ذا وظيفة عامة "Basilica, Forum or Council hous".

(شكل 5): الأرضية الفسيفسائية التي كشفت أثناء التنقيبات الأثرية التي قامت بها الجامعة الأردنية في جرش، كما تظهر في المخطط الأفقي لمنطقة التنقيبات (Area D)

(Barghoti, 1982: 225, Fig. 18a)

والصورة الوحيدة (صورة 3) التي عثر عليها لهذه الأرضية منشورة في مقال لرامي خوري، بعنوان Mosaic Country، منشور في مجلة أرامكو (Khouri,1987). وقد أشير لها في المقال، عن طريق الخطأ، بأنها أرضية فسيفسائية من مادبا.

وهي تظهر بوضوح أن المساحة الداخلية لهذه الأرضية الفسيفسائية منفذة بأسلوب هندسي، ويعتمد على الوحدات الزخرفية المأخوذة من المربع والمعين، ويفصل بينها مساحات مستطيلة الشكل. لم يشر البرغوثي إلى ألوان هذه الوحدات الزخرفية، إلا أنه يبدو من الصورة أنه قد استخدم فيها قطعاً فسيفسائية يغلب عليها اللونان الأبيض والأحمر.

(صورة 3): الأرضية الفسيفسائية التي كشفت أثناء التنقيبات الأثرية التي قامت بها الجامعة الأردنية في جرش، والمنشورة خطأ بأنها من مادبا، في مقال رامي خوري في مجلة أرامكو (Khouri, 1987)

هناك أوجه شبه كبيرة بين الأرضية الفسيفسائية في جرش وبين الجزء المكتشف من الأرضية الفسيفسائية في خربة جابر، وذلك من حيث النمط والتصميم الهندسي لكل منهما، والذي يشبه رقعة الشطرنج، بالإضافة إلى أن كلتيهما تعودان للفترة الرومانية.

يشير فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية إلى أنه ليس من المعروف ما إذا كان هذا الجزء المكتشف في خربة جابر يمثل جزءاً من إطارها الخارجي، أم من أجزائها الداخلية (Lombardi 1955-1956: 318, 321). وعند مقارنة هذا الجزء بالأرضية المكتشفة في جرش (Barghoti,1982, P.223; Fig. 18a)، يمكن الاستنتاج بأن هذا الجزء من أرضية جابر هو من داخل الأرضية وليس من إطارها الخارجي، حيث يظهر في الصورة المنشورة لهذا الجزء (صورة 2) وجود مربعين كاملين وأجزاء من مربعين بجانبهما، وهذا يعني أن عرض هذا الجزء يبلغ حوالي 112سم. وهذا يرجح أن يكون هذا الجزء هو من المساحة الداخلية للأرضية، حيث أن إطار الأرضيات الفسيفسائية يكون في العادة أقل من عرض هذا الجزء المكتشف.

هذا وقد أشار متمن بعد زيارته لهذا الموقع في الفترة الواقعة بين عامي 1963-1966م، إلى وجود أرضية فسيفسائية (صورة 4)، تقع أيضاً في وسط منطقة التل الرئيسي، وصفها بأنها أرضية كنيسة، حيث تعرف على أجزاء منها، كانت تحتوي على نقش يؤرخ لعام 531م (Mittmann,1970, P.190-195)[ii]،

النقش يوجد داخل لوحة مستطيلة الشكل (Tabula Anstata) [iii]. والنص المكتوب داخل هذه اللوحة يتألف من سبعة أسطر أفقية، ومكتوب باللون الأحمر على خلفية بيضاء. ومنطقة الكتابة مستطيلة الشكل، ومحاطة بإطار يتألف من خمسة خطوط متوازية، كل منها يتكون من صف واحد من قطع الفسيفساء بألوان (أحمر، أكر (أصفر بني)[iv]، أبيض، أكر، أحمر)، ويحف بها من الجانبين مثلثان متساويا الأضلاع، قاعدة كل منهما بنفس عرض اللوحة تقريباً، وهما بمثابة المقابض المعشقة للوحة.

(صورة 4): صورة النقش المؤرخ لعام 531م، الموجود على أرضية كنية فسيفسائية، الذي نشره متمن
(Mittmann,1970, P.190, No. 29, Tafel XXIV, Abb. 48)

يبلغ طول اللوحة حوالي 173سم، بدون المثلثات (المقابض الجانبية)، وعرضها حوالي 76سم. ارتفاع الأحرف تتراوح بين 6.5-7.5سم، وهي تبدو بتصميم مربع الشكل تقريباً. واسطر النص يفصل بينها خطوط بيضاء وهي عبارة عن صف واحد من قطع الفسيفساء، بعرض 1.5سم، وكذلك بين الأحرف وبين منطقة الكتابة والإطار.

الجزء الواقع في أسفل لوحة النقش منفذ باللون الأبيض ويتخلله أشكال مربعة، عددها خمسة، تمتد بموازاة اللوحة. الإطار الخارجي لكل منها يتكون من صفين اثنين من قطع الفسيفساء داكنة اللون (اللون الأحمر)، ومساحتها الداخلية بيضاء مسمطة. ويخرج من زوايا هذه المربعات خطوط مائلة بزاوية 45°، وتتكون من ثلاثة صفوف من اللون الأحمر والأبيض (أحمر أبيض أحمر)، وتلتقي بالإطار الخارجي للوحة. كما يبدو أن هذه الخطوط تمتد نحو الأعلى على جوانب اللوحة، وكذلك نحو الأسفل، وتشكل ما يشبه الشبكة من أشكال المعينات، حيث تشكل المربعات نقاط التقاء زوايا هذه المعينات.

وعند مقارنة هذا الجزء من الأرضية الفسيفسائية الذي أشار إليه متمن (صورة 4)، بذلك الجزء من الأرضية الفسيفسائية الذي أشار إليه فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية في خربة جابر (صورة 2)، نجد بأن هناك أوجه شبه بينهما، من حيث نوعية الحجارة المستخدمة وألوانها، وإلى حد ما هناك تشابه في النمط الزخرفي الهندسي المتبع في كل منهما، والذي تشكل فيه الوحدات الزخرفية القائمة على أشكال المربعات والمعينات العناصر الرئيسية.

إلا أنه يبقى هناك اختلاف واضح في التصميم الزخرفي لكل منهما، فالزخارف الهندسية في الجزء الذي أشار إلية فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية، لا توجد في الجزء الذي أشار إليه متمن، والذي يضم أيضاً بالإضافة إلى النقش زخارف هندسية من أشكال مربعة، إلا أنها تختلف عن المربعات بشكل رقعة الشطرنج. فهل يكون مرد هذا الاختلاف إلى موقع كل منهما من الأرضية؟ أم أن كل منهما يعود إلى أرضية مختلفة؟.

ومن حيث موقعهما فقد أشير إلى أن كل منهما يقع في ذات المنطقة (منطقة وسط أعلى التل). ولكن كل منهما قد تم تأريخة إلى فترة زمنية مختلفة، ويفترض أن فاصلاً زمنياً طويلاً (حوالي 400 عام) يفصل بينهما. وهنا نجد بأن مجموعة من التساؤلات تطرح نفسها، فهل يعود كل من هذين الجزئين إلى نفس المبنى ولنفس الأرضية الفسيفسائية؟. هل أعيد استخدام المبنى ثانية في العهد البيزنطي وتم تحويله إلى كنيسة وأضيف هذا النقش، الذي يحمل تاريخاً متأخراً، إلى أرضيتها؟.

ولسوء الحظ فإن أي من هذين الجزأين من الأرضيات الفسيفسائية قد اندثر كلياً، ولم يعد له وجود عند زيارة كنج للموقع، في مطلع عقد الثمانينيات من القرن العشرين (King,1983,P.408). وبعد استقصائه عن موقع الكنيسة وأرضيتها الفسيفسائية أو أي مخلفات أثرية أخرى تعود لها، أشار كنج إلى أنه لاحظ وجود بقايا من أرضية جصية (من البلاستر) Plaster كانت ما تزال موجودة في المكان الذي يفترض أن الكنيسة كانت توجد فوقه، وأن مسجداً يقوم حالياً إلى الشمال الغربي من مكان وجود هذه البقايا من الأرضية الجصية، إلا أنه لم يوضح ما علاقة هذه الأرضية الجصية بالأرضية الفسيفسائية التي ذكرها متمن.

ومن الجدير بالذكر أن فريقاً من دائرة الآثار العامة، من مكتب المفرق، قام بالكشف أيضاً عن جزء من أرضية فسيفسائية (صورة 6)، في خربة جابر، في عام 2002، بعد إبلاغهم عن وجودها من قبل أحد المواطنين، في فناء بيته (فريق مكتب آثار المفرق، 2008، رواية شفهية). ويقع هذا الجزء في مكان قريب من موقع الأجزاء التي أشار إليها كل من فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية ومتمن، وهي تقع إلى الغرب من مبنى المسجد الذي أشار إليه كنج، وعلى بعد حوالي 40م تقريباً (شكل 6، صورة 5).

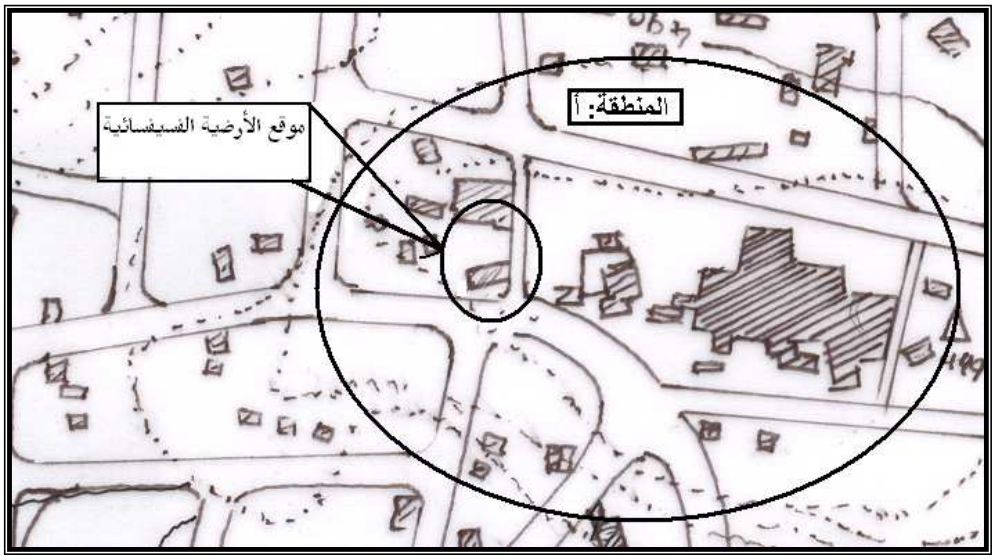

(شكل 6): جزء من المخطط التنظيمي لبلدة جابر (شكل 2)، يبين موقع الأرضية الفسيفسائية التي كشف عنها فريق دائرة الآثار

(صورة 5): موقع الأرضية الفسيفسائية التي كشف عن جزء منها فريق دائرة الآثار

ولم يتمكن فريق دائرة الآثار من الكشف عن الأرضية كاملة، لوقوع الأجزاء المتبقية منها تحت حجرات المنزل (صورة: 5). وهو منزل حديث البناء، مبني من الإسمنت. ومن المتوقع أن الأجزاء الواقعة تحته, من الأرضية الفسيفسائية, قد دمرت أثناء عمليات حفر الأساسات والبناء.

(صورة 6): الجزء الذي كشف عنه فريق دائرة الآثار من الأرضية الفسيفسائية في خربة جابر

وقد جاء الجزء المكتشف من الأرضية الفسيفسائية (صورة 6) يخلو كلياً من أي زخارف مهما كان نوعها. وهو منفذ بقطع فسيفساء صغيرة tesserae من اللونين الأبيض والأحمر، موزعة بشكل عشوائي، دون تصميم معين، يغلب عليها القطع ذات اللون الأبيض.

إلا أن هذا الجزء يتضمن نقشاً لاتينياً، مكتوباً بقطع فسيفساء ذات لون أحمر على خلفية بيضاء، داخل إطار دائري، يتكون من ثلاث دوائر داخل بعضها البعض بلون داكن (أحمر)، ويفصل بينها دائرتان بلون فاتح (أبيض). الدائرة الخارجية تتكون من صفين اثنين من قطع الفسيفساء، في حين أن الدوائر الأخرى (البيضاء والحمراء) تتكون من صف واحد فقط من قطع الفسيفساء.

تاريخ هذا النقش غير معروف بعد، وبالتالي تاريخ هذه الأرضية الفسيفسائية، حيث أن الجزء الظاهر من النص لم يقرأ بعد، كما أن بقية أجزائه ما تزال مغطاة تحت المبنى. ولا بد من استكمال العمل على الكشف عنه كاملاً حتى يتاح المجال لقراءته بشكل تام.

كما أنه لا يوجد أي دليل على أن هذه الأرضية الفسيفسائية تعود لكنيسة، أو لأي مبنى آخر. ومن خلال قراءة الصورة الفوتوغرافية المتوافرة لهذا النقش (صورة 7) يبدو أن قاعدته تتجه نحو الشمال، وليس نحو الغرب، كما يتوقع أن يكون في الكنيسة، حسب اتجاه أروقتها، كما هو الحال في غالبية النقوش على أرضيات الكنائس. إلا أن هذا وحده لا يعتبر دليلاً كافياً، لتأكيد أو نفي طبيعة استخدام هذا المبنى الذي يضم هذه الأرضية.

وعند مقارنة هذا الجزء من الأرضية الفسيفسائية (صورة 6)، بذلك الجزء الذي كشف عنه متمن (صورة 4)، نجد أن هناك أوجه شبه من حيث نوعية قطع الفسيفساء المستخدمة وأحجامها وألوانها (الأبيض والأحمر)، في كل من الأرضية والنقش المكتوب باللون الأحمر على خلفية بيضاء. وهناك أوجه شبه، إلى حد ما، بين تصميم الإطار في لوحات الكتابة، من حيث تداخل اللونين الأحمر والأبيض، في صفوف متوالية، في اللوحات التي تتضمن النقوش، وإن كانا يختلفان من حيث الشكل (الدائري والمستطيل). هذا

بالإضافة إلى الموقع المتقارب لهذين الجزأين، فقد أشير إلى أن كلاً منهما يقع في ذات المنطقة تقريباً (منطقة وسط أعلى التل).

وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن كلاً من هذين النقشين يوجدان في نفس المبنى أو الكنيسة.

النقوش (الكتابات القديمة)

تم التعرف على عدد من النقوش (الكتابات القديمة) في موقع خربة جابر، وهي مكتوبة (محفورة) على حجارة بازلتية، بالإضافة إلى النقوش الموجودةً على الأرضيات الفسيفسائية. وقد تنوعت هذه النقوش من حيث أحجام وأشكال الحجارة المستخدمة لهذه الغاية، كما تنوعت من حيث لغة الكتابة بين اليونانية والعربية، هذا بالإضافة إلى تنوعها من حيث المواضيع التي تضمنتها هذه النقوش.

وكانت بعثة جامعة برنستون هي أول من أشار إلى وجود نقوش يونانية في هذا الموقع، تم نسخها وتوثيقها من قبل السيد ماجي Mr. Magie، أحد أعضاء البعثة، وعددها ثلاثة نقوش، جميعها من الحجارة البازلتية؛ أحدها عبارة عن مذبح Altar، واثنان عبارة عن شواهد (أنصاب) قبور (PES II.a.2: pp. xvi). وقد نشرت هذه النقوش في منشورات البعثة في الجزء المخصص للنقوش من منطقة جنوب حوران (PES III.A.2: 50, Inscr. 36¹, 36², 36³).

كما قام فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانيةSudium Biblicum Franciscanum، بعد زيارته لموقع خربة جابر، في عام 1956م، بنشر تسعة نقوش غير معروفة أو منشورة من قبل، وجميعها من حجر البازلت، من بينها نقشان عربيان (Lombardi 1955-1956: 313-315, No. 11-12)، أحدهما على مذبح من حجر البازلت (صورة رقم: 7)، ارتفاعه 51سم، الجزء العلوي وهو بشكل مخروط ناقص عرضها 35سم وارتفاعها 18سم، الحزام الأوسط ارتفاعه 5سم وعرضه 32سم، والجزء السفلي وهو بشكل متوازي المستطيلات ارتفاعه 28سم، وعرضه 27سم. والنقش العربي محفور على أحد أوجه الجزء المكعب، ويتألف من كلمتين اثنتين (اله الا)، ويبدو أن الجملة كانت (لا اله الا الله). وقد يكون الجزء الثاني من الجملة مكتوب على الجزء المفقود من المذبح.

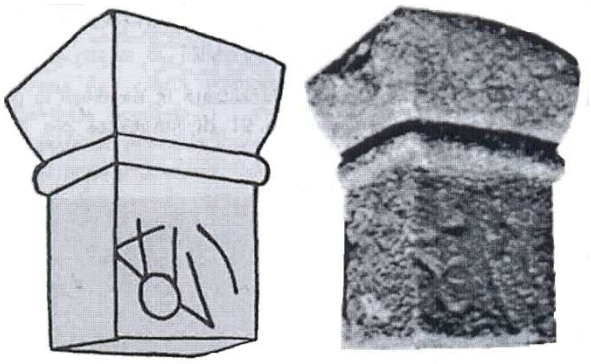

(صورة 7): نقش عربي على مذبح من حجر البازلت، نشره فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية، (Lombardi 1955-1956: 313-315, No. 11)

هذا بالإضافة إلى سبعة نقوش أخرى يونانية، أحدها عبارة عن عضادة باب علوية (حنت) (Lombardi,1955-1956: 303-306, No. 4)، والنقوش الستة الأخرى، هي عبارة عن أنصاب (شواهد) قبور (Lombardi,1955-1956: 306-313, No. 5-10).

كما أعادوا نشر النقوش الثلاثة (Lombardi,1955-1956: 303, No. 1-3)، والتي سبق وأن نشرت من قبل بعثة جامعة برنستون، عند زيارتها للموقع في عام 1909م (Littmann,1910 (D. III. A. 2): 50, 36[1], 36[2], 36[3]).

ومن الجدير بالذكر أن النقش المنشور تحت رقم 4 (Lombardi,1955-1956: 303-306, No. 4)، وهو مكتوب (محفور) على حجر بازلتي مستطيل الشكل، جوانبه منتظمة ومستقيمة، طوله 111سم، وعرضه 27سم، وهو يشبه الحجارة التي كانت تستخدم لعضادة الباب العلوية / الحنت (صورة رقم: 8). النقش يوجد داخل إطار بارز معشق Tabula Anstata (مستطيل يحاذيه من الجانبين مثلثان)، طوله 50سم وعرضه 14سم، يوجد على جانب الحجر وليس في منتصفه. والنقش موزع على ثلاثة أسطر أفقية (Lombardi,1955-1956: 303-306, No. 4).

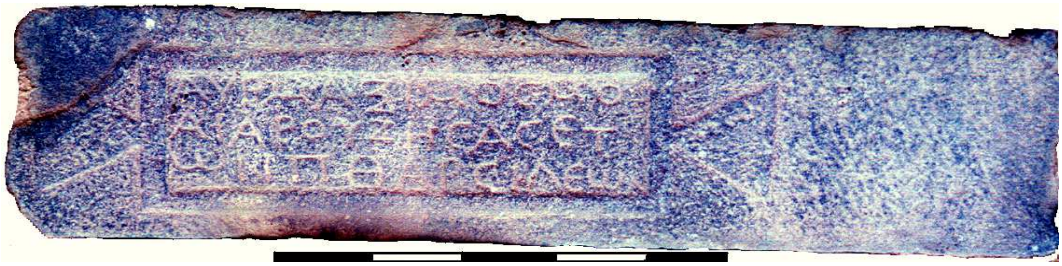

(صورة 8): النقش الموجود على عضادة باب علوية، والذي نشره فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية، تحت رقم 4 (Lombardi 1955-1956: 303-306, No. 4)

وأشار الفريق إلى أن هذا الحجر كان يوجد في جدار أحد خزانات المياه عند زيارتهم للموقع (Lombardi,1955-1956, P.303). وعندما زرنا الموقع للمرة الأولى في عام 1996 كان يوجد فوق مدخل إحدى الحجرات السكنية المبنية حديثاً باستخدام الحجارة البازلتية الأثرية من الموقع، ومستخدماً كعضادة علوية للباب. وكان النقش في وضع مقلوب. إلا أننا لاحظنا أن النقش لم يعد موجوداً في مكانه في زياراتنا اللاحقة للموقع، حيث نزع من مكانه، واختفى كلياً من الموقع. ويبدو أنه قد سرق من قبل لصوص الآثار.

كما نشر متمن Mittmann بعد زيارته للموقع في الستينيات من القرن العشرين، أربعة نقوش جديدة لم تكن معروفة أو منشورة من قبل (Mittmann,1970, P.190-195)، والتي يبدو أن بعضها اندثر بعد ذلك بشكل تام. أحدها نقش منفذ على أرضية فسيفسائية (صورة 9)، من كنيسة، مؤرخ بعام 531 (Mittmann 1970: 190, No. 29, Tafel XXIV, Abb. 48). وهو عبارة عن لوحة كتابية بتصميم يعرف (Tabula Anstata)، ويتألف من سبعة أسطر، مكتوبة بقطع فسيفساء لونها أحمر على خلفية بيضاء اللون، على مساحة مستطيلة الشكل، يحيط بها إطار يتكون من خمسة خطوط ملونة (صفحة 8-9).

أما النقوش الثلاثة الأخرى فهي عبارة عن أنصاب (شواهد) قبور من الحجارة البازلتية، بعضها سليم، ويظهر النقش كاملاً، والبعض الآخر عبارة عن كسر أو أجزاء من أنصاب، وبالتالي لا تظهر النقش كاملاً (Mittmann,1970, P.194-95, Tafel XXV, Abb. 49, 50, Tafel XXVI, Abb. 51) .

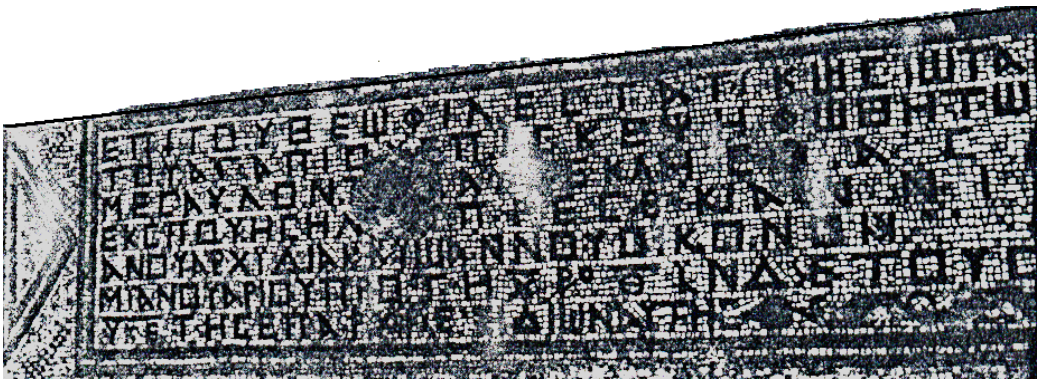

(صورة 9): صورة النقش المؤرخ لعام 531م، الموجود على أرضية كنية فسيفسائية، الذي نشره متمن (Mittmann 1970: 190, No. 29, Tafel XXIV, Abb. 48).

وأثناء عمل فريق جامعة آل البيت في المسح الميداني لمنطقة البادية الأردنية الشمالية، في عام 1996م، تم التعرف على ثلاثة نقوش غير معروفة أو منشورة من قبل، وهي عبارة عن شواهد (أنصاب قبور)، وجميعها من حجر البازلت. وقد نشر صلاح سعيد منها نقشين اثنين، عثر عليهما في سقوف المباني السكنية للقرية الحديثة، المبنية من الحجارة البازلتية الأثرية، أعيد استخدامهما كشبائح حجرية في السقف (سعيد 1998: 19-22، لوحة2 شكل 1، لوحة 3 شكل2).

أما النقش الثالث، وهو أيضاً عبارة عن شاهد قبر مستطيل الشكل (صورة 10)، عرضه حوالي 30سم وطوله حوالي 80سم، فقد عثر عليه في كومة من حجارة البناء البازلتية القديمة، في مكان يبعد حوالي 500م إلى الجنوب عن التل الذي تقوم عليه خربة جابر. ويبدو أن هذه الكومة من الحجارة قد نقلت من مكان آخر أثناء عمليات البناء وشق الطرق ورصفها وتعبيدها.

هذا النقش لم ينشر بعد، وهو يحمل سطراً واحداً فقط من الكتابة في طرفه العلوي، حيث يحتوي على خمسة أحرف هي على الأغلب (ANPYA). وقد جاءت الحروف غير واضحة للقراءة، وذلك لأن سطح الحجر المخصص للكتابة خشن، ولم يتم تسويته وإعداده بشكل جيد، ويبدو أن هذا النقش لم يكتمل في الأصل لسبب أو لآخر.

(صورة 10): النقش الثالث من جابر (غير منشور).

كما عثر فريق دائرة الآثار، من مكتب المفرق، في عام 2002م، على نقش لاتيني في الأرضية الفسيفسائية التي تم الكشف عنها في فناء أحد بيوت القرية (صورة رقم: 11). يوجد النقش داخل إطار دائري، وكل من النقش والإطار من حجارة صغيرة داكنة اللون (اللون الأحمر)، قاعدته تتجه نحو الشمال، وليس نحو الغرب، كما يتوقع أن يكون في الكنيسة.

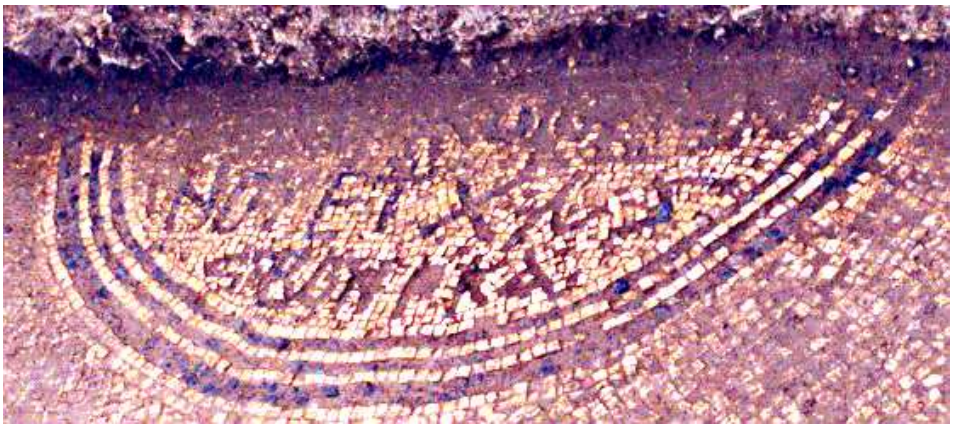

(صورة 11): الجزء الذي كشف عنه فريق دائرة الآثار من الأرضية الفسيفسائية في خربة جابر

الجزء الظاهر من النقش يظهر نصف الدائرة السفلي، وهو يتضمن ثلاثة أسطر، تختلف من حيث العرض حسب وقوعها في الدائرة، حيث يبدو أن السطر الواقع في منتصف الدائرة أطول من السطر الذي يليه والسطر الثالث هو الأصغر من بينها. وإذا افترضنا أن نصف الدائرة غير الظاهر يحتوي عدداً مماثلاً من الأسطر كما هو موجود في النصف الظاهر، فإنه من المتوقع أن النص يتكون من ستة أسطر. وهو ما يزال غير منشور حتى الآن.

إذاً، بلغ مجموع عدد النقوش التي تم التعرف عليها، لغاية الآن، في خربة جابر، عشرين نقشاً، اثنان منهما على أرضيات فسيفسائية، ونقش ثالث على مذبح، ونقش رابع على عضادة باب علوية (حنت)، أما النقوش الستة عشر المتبقية فهي عبارة عن أنصاب (شواهد) قبور. ولكن هذا العدد من النقوش قابل للزيادة،

إذ من المحتمل أن هناك المزيد من النقوش بين أنقاض الموقع الأثري أو في جدران المباني الحديثة والتي أعادت استخدام حجارة البناء المأخوذة من المباني الأثرية في الموقع.

الأحواض الحجرية

أشار كنج إلى أنه لاحظ وجود العديد من أجزاء من أحواض وأعمدة حجرية بازلتية، تنتشر في مختلف أنحاء الموقع الأثري (King et al. 1983: 408). وما يزال العديد من مثل هذه الأحواض تنتشر في أماكن مختلفة من الموقع (خربة جابر). أحدها عبارة عن جزء غير تام من حوض مصنوع من الحجر البازلتي (صورة رقم: 12 أ، ب؛ شكل: 7)، يوجد حالياً بجانب أحد خزانات المياه (بئر) الموجودة أسفل التل في المنطقة الشمالية الشرقية. ويبدو أنه يستخدم أو كان يستخدم في عهد القرية الحديثة كحوض لسقاية المواشي، فخزان المياه هذا كان، وحتى وقت ليس بعيداً، مستخدماً لتخزين مياه الأمطار التي يتم جمعها من مجرى الوادي المجاور لموقع الخزان.

وقد تم استخدام هذا الحوض (هذا الجزء من الحوض) في بناء حوض ماء بجانب فوهة البئر، حيث يشكل نصف الحوض هذا طرفاً من أطراف الحوض، وعلى الجوانب أضيفت حجارة بازلتية، في حين أن الجهة المحاذية لفتحة البئر قد بنيت من الإسمنت. وكذلك قاعدة الحوض والفراغات بين الحجارة، وذلك لاستخدامه كحوض لسقي الدواب، بعد ملئه بالماء من البئر.

يبدو أن هذا الجزء من الحوض يمثل نصف الحوض الأصلي، وهو بشكل شبه دائري (يميل إلى الشكل البيضوي). ويمتاز بحجمه الكبير جداً، فقطره يتراوح بين 80-90سم، وارتفاعه حوالي 60سم، وسمك جداره حوالي 10سم. فتحة الفوهة أكبر من قاعدته، لهذا فجدرانه ليست راسية وإنما مائلة. قاعدة الحوض من الداخل ليست مستوية، وهي بشكل الصحن، حيث أن الجزء الملاصق للجدران هو بشكل الإطار عرضه 23سم، بمستوى واحد، ويتوسطه منطقة تنخفض 5سم عن مستوى الإطار.

أما بالنسبة لوظيفة هذا الحوض الأصلية فهي غير معروفة، ومن المحتمل أنه كان مستخدماً في إحدى الكنائس، كحوض للتعميد.

وقد كان هذا الجزء من الحوض البازلتي موجوداً بنفس المكان عند زيارة فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية في عام 1956، وقد نشروا صورة له وهو في نفس مكانه الحالي بجانب البئر. إلا أنهم وصفوه بأنه عنصر معماري، عبارة عن سقف كوة[v] niche (Lombardi, 1955-1956: 317, Fig.4).

وعند معاينة هذا الجزء من الحوض، وخاصة منطقة الكسر، تبين بأن أطرافه تشير إلى أن كلاً من القاعدة والجدران لا تنتهي عند نصف الدائرة (صورة: 15، ب)، وإنما تبدو أنها تزيد عن ذلك، مما يدل على أن هذا الجزء هو جزء من حوض وليس سقف كوة.

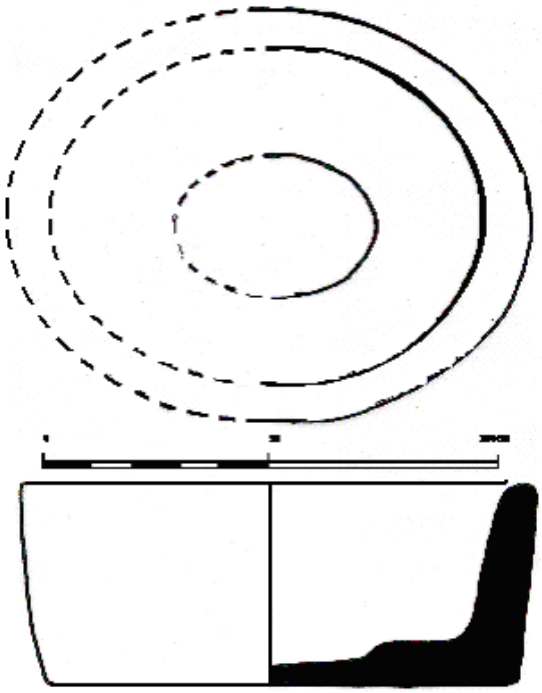

(شكل 7): رسم توضيحي للحوض البازلتي الكبير، من خربة جابر.

الأطراف العلوية لجدران الحوض القريبة من منطقة الكسر تبدو مكسرة حديثاً، بينما تظهر الصورة التي نشرها فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية أن هذه الأطراف كانت سليمة في ذلك الوقت (Lombardi 1955-1956: 317, Fig. 4). كما تظهر هذه الصورة أن فوهة الحوض كان بها ما يشبة القناة أو مجرى للمياه. وإن صح هذا فإن وظيفة هذا المجرى هي لتصريف المياه الزائدة عند امتلاء الحوض. وهذا يعزز فكرة أن هذا الحوض هو عبارة عن حوض مياه، وليس عنصراً معمارياً.

(صورة 12 أ- ب): جزء من حوض بازلتي كبير الحجم يوجد بجانب أحد خزانات المياه (بئر) الموجودة أسفل التل في المنطقة الشمالية الشرقية.

كما تم العثور على جزء (كسرة) من حوض آخر (جرن) من حجر البازلت (صورة 13: أ،ب،جـ؛ شكل 8)، وهو موجود حالياً في متحف سمرقند تحت رقم: 2006/15.

هذا الحوض متوسط الحجم، ويبدو من الخارج مكعب الشكل تقريباً، بينما من الداخل بشكل مقعر

والزوايا منحنية. وزواياه العلوية بارزة قليلاً نحو الخارج بشكل شبه أنصاف كرات صغيرة، شبيهة برؤوس حيوان، إلا أنها تخلو من أية تفاصيل، يبدو أنها نفذت بهذا الشكل لتكون بمثابة المقابض للإناء على زواياه الأربع.

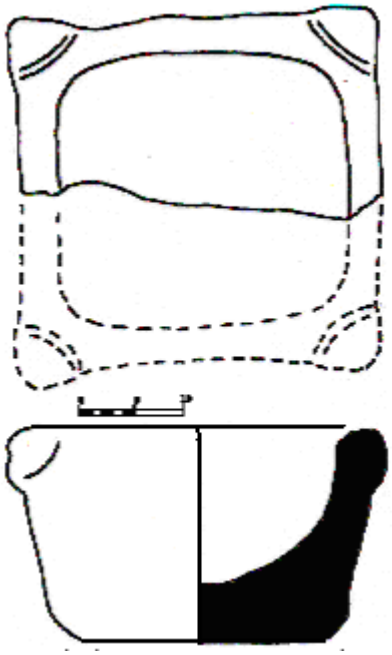

(شكل 8): رسم توضيحي للحوض البازلتي متوسط الحجم، من خربة جابر، ويوجد حالياً في متحف سمرقند.

فتحة الحوض من الأعلى مربعة الشكل تقريباً، طول ضلعه 36سم، كما يستدل على ذلك من عرض الضلع غير المكسور، وكذلك القاعدة فهي أيضاً مربعة الشكل طول ضلعه 28سم، لهذا تبدو الجدران الخارجية مائلة وليست رأسية. ارتفاع الحوض من الخارج 20سم، ويبلغ سمك القاعدة 7سم، وسمك الجدار عند فتحته العلوية 3.5سم، شكل جوف الحوض (من الداخل) نصف كروي تقريباً، وعمقه حوالي 13سم.

(صورة 13 أ،ب،جـ): جزء من حوض بازلتي متوسط الحجم، من خربة جابر.

السطح الخارجي للحوض يبدو مشذباً أو مسوى بشكل جيد، وملمس الحجر البازلتي الخشن هو المسيطر؛ بينما السطح الداخلي للحوض يبدو أملس تقريباً، مما قد يشير إلى أنه كان يستخدم لعمليات دق أو طحن الحبوب أو غيرها من المواد الصلبة.

الرموز الدينية

أشار فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية إلى وجود عدد من الحجارة التي تحمل أشكالاً زخرفية، بشكل صلبان، منحوتة أو محفورة على الحجارة البازلتية، بعضها مستطيل الشكل يشبه عضادات الأبواب العلوية (Lombardi, 1955-1956: 317-318, Fig. 5, 6, 7, 8, 9) ، بعض هذه الأشكال توجد داخل إطار دائري، والبعض الآخر بدون إطار. أحد هذه الأشكال يوجد على حجر مشذب، محفور به قوس (صورة رقم: 14)، يبدو أنه عضادة علوية لنافذة صغيرة (Lombardi 1955-1956: 320, Fig. 9). بعض هذه الحجارة مستخدم، كعضادات أبواب أيضاً، في مساكن القرية التي كانت قائمة عند زيارة الفريق في عقد الخمسينيات من القرن العشرين.

(صورة 4): قوس محفور على حجر بازلتي، قد يكون عبارة عن عضادة علوية لنافذة (Lombardi 1955-56: 320, Fig. 9).

قطعة أخرى من الحجر الكلسي (صورة رقم: 15)، من خربة جابر، طوله حوالي 59سم، وعرضه 32سم، يبدو أنه كان أيضاً في الأصل عبارة عن عضادة باب علوية، عثر عليه وسط الأنقاض في منطقة التل (Lombardi 1955-56: 322, Fig. 11)، عليه أشكال منحوتة بشكل بارز، أحدها بشكل المثلث، والآخر بشكل المذبح. يبدو أن الحجر كان في الأصل أطول مما يبدو في الصورة، حيث يبدو أنه كان يضم أشكالاً أخرى منحوتة على واجهته.

(صورة 15): حجر كلسي، قد يكون عبارة عن عضادة علوية، عليه أشكال منحوتة بشكل بارز، أحدها يمثل مثلث وآخر بشكل المذبح (Lombardi 1955-56: 320, Fig. 11).

كما أشار كنج إلى وجود بعض حجارة البناء، المأخوذة من مباني أثرية قديمة ومستخدمة في مباني القرية الحديثة القائمة فوق التل (خربة جابر)، أحدها عضادة باب علوية (حنت) Lintel يوجد فوق إحدى فتحات الأبواب، عليه شكل صليب، منحوت داخل دائرة، يتخلله وحدات زخرفية دائرية بارزة في زواياه الأربع (King et al. 1983: 408, Pl. XCII, 2)، وهو نفسه الحجر الذي أشار إليه فريق مؤسسة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسكانية (Lombardi 1955-1956: 318, Fig. 5). وعلى عتبة نفس الباب يوجد شكل صليب بسيط محفور في سطح الحجر (King et al. 1983: 408, Pl. XCIII, 1).

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الحجارة التي أشير إليها سابقاً ما تزال توجد في أماكنها حتى الوقت الحاضر، حيث شوهدت في الخمسينيات والثمانينيات من القرن الماضي، علماً بأن هذا المسكن مهجور حالياً كبقية المساكن المبنية من الحجارة البازلتية في الموقع، وهو يستخدم حالياً كزرائب للأغنام.

أحد الحجارة البازلتية المشغولة، والتي ما تزال موجودة في موقع خربة جابر، حجر مكعب الشكل واجهته الأمامية مشذبة بشكل جيد، وعليها شكل منحوت بشكل بارز يمثل لوحة تشبه اللوحات التي كانت تعد للكتابة Tabula Anstata، كتلك اللوحة المنحوتة على عضادة باب علوية وتضم نقشاً من هذا الموقع أيضاً (صورة رقم 8). إلا أن اللوحة الظاهرة على هذا الحجر (صورة رقم 16)، فارغة وليس عليها كتابة. وليس من المعروف ما إذا كانت مجرد شكل زخرفي، أم أعدت في الأصل للكتابة عليها إلا أن هذه العملية لم تكتمل لسبب أو لآخر.

(صورة 16): حجر بازلتي مشغول، واجهته الأمامية مشذبة، وعليها شكل لوحة منحوتة بشكل بارز Tabula Anstata.

هذا وقد لاحظنا وجود حجارة أخرى، وفي أجزاء أخرى من الموقع، عليها أشكال صلبان محفورة في حجارة بناء بازلتية قديمة. أحدها يمتاز بأن رؤوس أضلاع الصليب تنتهي بأرباع دوائر مفتوحة نحو الخارج (صورة رقم: 17-أ)، داخل محيط الدائرة. محفورة على أحد أطراف حجر غير منتظم الشكل، يبدو أنه لم يستخدم كعضادة باب علوية، فأطرافه غير مستقيمة، كما هو الحال في إعداد مثل هذه الحجارة. الحجر مكسور من طرفه الذي عليه الصليب، ولهذا فإن طوله الحقيقي غير معروف. يبدو أن هذا الحجر استخدم

في الأصل كشاهد قبر، فالجزء السفلي منه، محدد بخط أفقي محفور، وهو يستدق نحو الأسفل، ويبدو أنه الجزء الذي يغرز في الأرض لتثبيته منتصباً.

وقد عرف مثل هذا التقليد في مواقع أخرى مثل خربة السمرا (Humbert,1987,P.309 ;Desreumaux and Humbert,1981, Pl. XII-XIV)، حيث تم التعرف على عدد كبير من شواهد القبور البازلتية والتي نقش (حفر) عليها أشكال صلبان، فقط أو مصحوبة ببعض الكتابات أحياناً. أحد هذه الحجارة البازلتية وعلية شكل صليب محفور (صورة رقم: 17-ب)، وهو من خربة السمرا ويوجد حالياً في متحف سمرقند ويحمل الرقم 97/116.

أ- حجر بازلتي من جابر. ب- حجر بازلتي من خربة السمرا.

(صورة 17): حجارة بازلتية محفور عليها أشكال صلبان

الأعمدة الرخامية

كما يوجد في متحف سمرقند في جامعة آل البيت جزء من عمود صغير من الرخام الأبيض (صورة رقم: 18، شكل: 9)، عثر عليه في بلدة جابر أثناء عملية المسح الأثري الميداني في عام 1996م[vi]. وهو جزء غير تام من العمود (مكسور من الأعلى) ارتفاعه 27سم، الجزء السفلي أسطواني الشكل، وقطره (13سم)، ويتكون من حلقات متتالية (عددها 5) سمك كل منها يتراوح بين (1,4سم إلى 3سم). والجزء العلوي بشكل المخروط، وقطره (10,8سم). السطح الخارجي للعمود مصقول / أملس.

عثر على أعمدة رخامية صغيرة داخل مباني بعض الكنائس في عدد من المواقع الأثرية مثل رحاب وحيان المشرف، وهي تستخدم كقواعد لطاولة المذبح في منطقة قدس الأقداس، أو في الحاجز الذي يفصل منطقة حنية الكنيسة عن صحنها.

وفي كنيسة القديس جورجيوس في موقع رحاب الأثري، جاءت أمثلة مشابهة لهذا العمود مثبتة في أعلى الأعمدة مكعبة الشكل مستخدمة في الحاجز الذي يفصل الحنية عن صحن الكنيسة (صورة 19). لهذا فنحن نعتقد بأن هذا العمود (صورة رقم: 18، شكل 9) يعود لإحدى الكنائس الأثرية الموجودة في موقع خربة جابر الأثري.

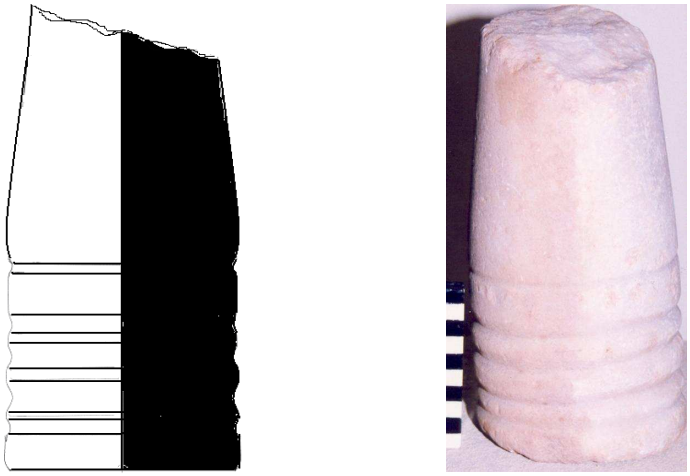

(صورة 18; شكل 9): عمود صغير من الرخام (مكسور من الأعلى) من موقع خربة جابر الأثري.

(صورة 19): أعمدة رخامية صغيرة في كنيسة القديس جورجيوس في موقع رحاب الأثري. مستخدمة في الحاجز الذي يفصل منطقة الحنية عن صحن الكنيسة.

الخلاصة

بهذا تكون هذه الدراسة قد وصلت إلى نهايتها، بفضل الله ورعايته، والتي تناولت بعض الموجودات الأثرية التي تم التعرف عليها في موقع خربة جابر الأثرية، بهدف إلقاء المزيد من الضوء على التاريخ الحضاري لهذا الموقع الأثري، وتعريف القارئ بموجوداته الغنية كالأرضيات الفسيفسائية والنقوش والأحواض الحجرية والأعمدة الرخامية، لامكانية الاستفادة منها في العمارة والتصميم الداخلي.

تؤكد هذه الموجودات أن هذا الموقع الأثري كان مأهولاً في العصر الروماني والبيزنطي. وهذا يتوافق مع ما تشير إليه الموجودات الأخرى من الكسر الفخارية من هذا الموقع، والتي تؤكد أيضاً أنه بقي مأهولاً خلال العصر الأموي، وأنه أعيد استخدامه مرة أخرى أيضاً خلال العصر الأيوبي المملوكي.

بالإضافة إلى استخدام حجر البازلت، وهو الحجر أو الصخر الطبيعي في المنطقة التي يوجد بها

موقع خربة جابر، في المنشآت المعمارية، سواء في بناء الجدران أوالسقوف، وبقية العناصر المعمارية أيضاً، فقد كان للحجر البازلتي استخدامات أخرى، مثل صناعة الأحواض، وكوسيط للكتابة أيضاً.

ومن الجدير بالذكر أن مادة الرخام لا تتوافر في البيئة المحلية، مما يؤكد أن هذه الأعمدة الرخامية، وغيرها من العناصر المعمارية المصنوعة من الرخام، قد تم استيرادها من مصادر خارجية. وأعتقد بأنه قد بات من الضروري القيام بدراسة تتناول هذه العناصر المصنوعة من الرخام للتعرف على أنواعها، وعلى المناطق التي جلبت منها.

على الرغم من صغر حجم أو مساحة أجزاء الأرضيات الفسيفسائية الثلاث التي تم الكشف عنها في خربة جابر، إلا أنها تشير إلى أهميتها وأهمية هذا الموقع، وإلى ضرورة أن يصار إلى تنظيم بحث أثري ميداني يهدف إلى الكشف عن أجزائها المتبقية، وعن المباني التي كانت تضم هذه الأرضيات.

ومن الجدير بالذكر أن صغر حجم أو مساحة هذه الأجزاء من الأرضيات الفسيفسائية لا يقلل من أهميتها، كأعمال فنية قائمة بذاتها، وكعنصر رئيسي من عناصر التصميم الداخلي التي كانت معروفة بل وشائعة في عمارة العصور الرومانية والبيزنطية.

فقد ورث الرومان عن اليونانين العديد من المظاهر الحضارية والثقافية، ومن ضمنها فن الفسيفساء، الذي أصبح أحد أهم تقاليدهم الفنية المرتبطة بفن العمارة، بكافة وظائفها المدنية والدينية، في كافة أنحاء الدولة الرومانية، ومنها مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط (بلاد الشام). واستمرت هذه التقاليد الفنية إبان الفترة البيزنطية، وشهدت أساليب وتقنيات معالجة اللوحات الفسيفسائية - في كافة مناطق بلاد الشام، كغيرها من مناطق الدولة البيزنطية- المزيد من التطور، متأثرة بالنهضة العمرانية والمعمعارية، والتي استمرت حتى العصر الأموي. إذ أصبح فن الفسيفساء من أهم الفنون المكملة للعمارة بكافة وظائفها وأنواعها بشكل عام، والعمارة الدينية (الكنائس) بشكل خاص، حيث استخدم كوسيلة وتقنية لتغطية الأرضيات والجدران وبقية عناصر العمارة الداخلية (wikipedia, Christian_mosaic).

وتعتبر الأرضيات الفسيفسائية، بالإضافة إلى قيمتها الجمالية العالية، بمثابة الوثائق التاريخية الهامة. فهي بمثابة سجل مفتوح يشير إلى مدى التطور في العديد من الجوانب الحضارية. فمع انتشار بناء الكنائس، بتصميماتها المختلفة، شهد فن الفسيفساء أيضاً تطوراً كبيراً، من حيث الموضوعات التي تناولها ومن حيث المواد والتقنيات والأساليب التي استخدمت؛ وانتشاراً واسعاً شمل كافة أنحاء الدولة البيزنطية. فمن حيث موضوعات فن الفسيفساء البيزنطي، فقد ظهرت وشاعت في منطقة بلاد الشام أنماط زخرفية هندسية حلت محل الموضوعات الأسطورية التي كانت تسيطر على فن الفسيفساء الروماني. واتجهت هذه الأنماط إلى البعد عن المنظور والتحجيم في تصوير الكائنات الحية (الأشكال البشرية والحيوانية)، كما اتجهت العناصر النباتية إلى الاختزال والتحوير. وظهرت في الكنائس تصاميم جديدة للوحات الفسيفسائية، وهي ما يعرف بتصميم السجادة الشرقية، التي يغلب عليها الطابع الهندسي، متعدد العناصر والأشكال الهندسية، مثل المربعات والمضلعات والشرائط المجدولة. ووفقاً لتعدد وتنوع العناصر المعمارية الداخلية لمبنى الكنيسة، مثل الحنية والأروقة (الرئيسية والجانبية)، فقد ظهرت تصميمات جديدة تناسب في أشكالها وتصاميمها مخططات وتصاميم هذه العناصر. فهناك السجادة الخاصة بالرواق الرئيسي (الأوسط)، وهناك السجاجيد الخاصة بالأروقة الجانبية، وتلك الخاصة بالفراغات بين الأعمدة، بالإضافة إلى تلك السجاجيد الخاصة

بمنطقة الحنية (التميمي، 2011؛ الشياب والمحيسن 2008 : 126 – 127).

موقع خربة جابر هو أحد المواقع المهمه في منطقة حوران، وهو من المواقع التي شهدت استيطاناً في العصر الحالي، الأمر الذي أدى، وما زال، إلى طمس العديد من الشواهد الأثرية. فهو يقع داخل المخطط التنظيمي لبلدة جابر الحديثة، والتي تشهد نمواً كبيراً ومتزايداً في أعداد السكان ونشاطاتهم المرافقة، وخاصة في مجال الحركة العمرانية والمعمارية. لهذا يعتقد بأنه من الضروري أن يصار إلى تنظيم دراسات أثرية ميدانية مكثفة، للتعرف على الشواهد الأثرية المهددة بالضياع نتيجة هذه الحركة وبالتحديد في الأجزاء المملوكة للمواطنين من هذا الموقع.

الهوامش

[i] - إحداثيات الموقع على الخارطة: (BS 371 009, Sheet 3255 III, ed. 2).

[ii] - يشير متمن إلى أن معرفته بهذا النقش جاءت من خلال أحد أصدقائه (Pater S. J. SALLER)، فهو الذي أخبرة بوجود هذا النقش في هذا المكان، وبأنه قد تم الكشف عن هذا النقش قبيل نهاية عهد الانتداب، إلا أن الظروف التي كانت سائدة آنذاك قد حالت دون دراسته ونشره. كما يشير متمن إلى أن أعمال الكشف عن هذا النقش قد استغرقت منه يوم كامل، حيث أن الأرضية التي يوجد بها هذا النقش كانت مغطاة بالطمم المكون من التراب والحجارة. أما بالنسبة إلى موقع الأرضية الفسيفسائية التي تتضمن هذا النقش، فقد أشار متمن بأنها تقع تقريباً في وسط التل الذي تقوم عليه القرية (Mittmann,1970,P.191: footnote No. 79).

[iii] - Tabula Anstata، مصطلح لاتيني للإشارة إلى لوحة (إطار) للكتابة مع مقابض (بشكل مثلث) معشقة على الجانبين

[iv] - اللون الأكر Ocher، هو اللون البني الفاتح المائل للصفار

[v] - الكوة Niche هي عبارة عن عنصر معماري، يكون بشكل فتحة غير نافذة في الجدار، قد يكون سقفها مستوياً أو بشكل نصف القبة.

[vi] - هو عبارة عن جزء من عمود رخامي، وهو من مقتنيات متحف سمرقند في جامعة آل البيت، ويحمل الرقم المتحفي (97/22). وقد عثر عليه أثناء عملية المسح الميداني في عام 1996، وقد كان يلهو به بعض فتيان البلدة، بدحرجته على الأرض، لهذا فقد ارتأينا إحضاره للمتحف من أجل المحافظة عليه.

المراجع العربية

التميمي، حسن. (2011). **مقالات في فن العمارة 72- الفسيفساء وأثرها في تطورالزخرفة الشرقية**. شبكة الأوائل: http://top.trytop.com/thread24265.html

سعيد، صلاح. (1998). دراسات ميدانية للكتابات القديمة في البادية الشمالية الأردنية، **منشورات جامعة آل البيت**، المفرق.

الشياب، عاطف والمحيسن، زيدون. (2008)، **علم الآثار والمتاحف الأردنية**، منشورات وزارة الثقافة، عمان.

عابد، عبدالقادر. (1982). **جيولوجيا الأردن: صخوره، تراكيبه، معادنه، ومياهه**. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان.

عبيدات، ضيف الله. (2000). التاريخ الحضاري لمنطقة البادية الأردنية الشمالية. **مجلة البيان**، جامعة آل البيت، 4(2): 216-243.

عبيدات، ضيف الله. (2003). "سما السرحان"، **مجلة البيان**، جامعة آل البيت، 4(1): 260-304.

عبيدات، ضيف الله. (2007). نتائج المرحلة الأولى من المسوحات الأثرية الميدانية في منطقة البادية الأردنية الشمالية. **المنارة للبحوث والدراسات (العلوم الإنسانية)**، تصدر عن جامعة آل البيت، 13(1): 9-57، آذار 2007.

عبيدات، ضيف الله. (2010). خربة جابر في منطقة البادية الأردنية الشمالية، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، 4(2): 118-170.

فريق دائرة الآثار- مكتب آثار المفرق، (2008). رواية شفهية من أحد أعضاء فريق مكتب آثار المفرق، الذي قام بالكشف عن الأرضية الفسيفسائية، في موقع خربة جابر الأثري.

المراجع الأجنبية

Barghoti, A. (1982). Urbanization of Palestine and Jordan in Hellenistic and Roman Times. Pp. 209-229 in A. Hadidi (ed.), Studies in the History and Archaeology of Jordan I. Amman, Dept. of Antiquities of Jordan.

Butler H. C. (1909). "Acient Architecture in Syria, Southern Syria. The Southern Hauran", Publications of the Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905 (Division II, Section A, Part 2). Brill Publishers and Printers, Leyden.

Desreumaux, A. and Humbert, J. –B. (1981). "Hirbet Es-Samra". Annual of the Department of Antiquities of Jordan (ADAJ) 25: 33-84, Pl. X-XV.

El-Isa, Z.H. 1985. Earthquake studies of som archaeological sites in Jordan. In Adnan Hadidi (ed.), Studies in the History and Archaeology of Jordan II: 229-235. Amman (Department of Antiquities).

Freeman, P. & Kennedy, D. (1986). The Defence of the Roman and Byzantine East. Proceedings of a colequim held at the University of Sheffield in April 1986 (eds.), Part i. BAR Int.s. 297 (i). British Institute of Archaeology at Ankara. Monograph No. 8.

Humbert, jean-Bbaptiste. (1987). Khirbet Es-Samra, la Route et Questions de Chronologie. Studies in the history and Archaeology of Jordan III: 307-310, Amman. Department of Antiquities.

Kennedy D. L. (forthcoming). An aerial perspective on the Princeton Expedition in northern Jordan: or What Butler didn't see (Draft).

Khouri, Rami G. (1987). Mosaic Country, Aramco World Magazine, Published by the Aramco Service Company. Vol. 38, No. 1 (January/February).

King G. R. D. (1983)a. Survey of Byzantine and Islamic Sites in Jordan, 1983 (PICCIRILLO ed.), Liber Annuus (LA) 33: 411-413.

King G. R. D. (1983)a. Byzantine and Islamic Sites in Northern and eastern Jordan SAS 13: 79-91.

King G. R. D., Lenzen C.J. & Rollefson G.O. (1983). "Survey of the Byzantine and Islamic Sites in Jordan. Second Season Report, 1981", Annual of the Department of Antiquities of Jordan (ADAJ) 27: 385-436.

Littmann Enno (1909). Greek and latine Inscriptions In Syria, Division III, Section A, Part II, Pblications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909. Late E. J. Brill Publications and Printers, Leyden.

Littmann E., David Magie Jr. and Duane Reed Stuart. (1910). Greek and Latin Inscriptions In Syria. Southern Syria (III. A. 2), Late E. J. Pblications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909. Brill Publishers and Printers, Leyden.

Lombardi, G. 1955-56. "Nuove iscrizioni de Jaber", (Studii Biblici Franciscani) Liber Annuus (LA) 6: 299-323.

Mittmann, S. (1970). Beitraege zur Siedlungs- und Territorialgeschichte des Noerdlichen Ostjordanlandes, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

Obaidat, Daifallah. (2008) Water Harvesting and Storage Techniques in the Western Parts of the Northern Jordanian Badiah, Pp. 95-105 in Hans G. Gebel, Zeidan Kafafi and Omar Ghul (ed.), Modesty and Patience, Studies and Memories in Honour of Nabil Qadi (Abu Salim) Yarmouk University, Monograf of the Faculty of Archaeology and Anthropology, Volume 6. ex oriente, Berlin.

Schumacher, G. (1893). Ergebnissen meiner Reise durch Hauran, Adjlun and Belka Zeitschrift des deutschen Palästina-Vereins 16: 72-83.

Schumacher, G. (1893). Dass Sudliche Basan. Zeitschrift des deutschen Palästina-Vereins 20: 65-227.